بسم الله الرحمن الرحيم

رمضان شهر القرآن وطاعة الرحمن

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على الهادي الأمين، الذي شرف هذه الأمة برسالة الحق المبين، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد؛

فإن من نعم الله وفضله، وجوده وكرمه، أن هدانا لهذا الدين العظيم، ومن علينا بهذه الرسالة الخالدة، رسالة الإسلام، التي أضاءت وجه الأرض، وأزالت عنها ظلمة الكفر والجهل، فسما هذا الدين بفضل الله تعالى بهذه الأمة، وميزها عن سائر الأمم، قال الله تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ [آل عمران: 110]، حتى أصبحت هذه الأمة مثالاً وقدوة يحتذى بها، وأصبح الدين الإسلامي الملاذ الآمن والبيت الدافئ لكل من يبحث عن السعادة والطمأنينة والراحة النفسية، فنحن نشهد، ولله الحمد، في هذه الأيام إقبالاً هائلاً على هذا الدين العظيم، وصحوة دينية كبيرة في دول العالم جميعها، بسبب تعاليم الدين الإسلامي السمحة، ومواكبته لكل زمان ومكان، وشموله لجميع مناحي الحياة، وإعطائه للإنسان جميع حقوقه، واحترامه له، ونهيه عن إهانة كرامته، فلا فرق بين أبيض ولا أسود، ولا غني ولا فقير إلا في التقوى، قال تعالى: وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً [الإسراء: 70].

وقد اشتمل هذا الدين على عبادات منها الصلاة التي هي عمود الدين وأساسه المتين، تقرب العبد من ربه، وتقوي الصلة بينهما، فالإنسان في كل عبادة يستشعر عظمة الله جل في علاه، ويكون قريباً منه، يناجيه، ويطلب عفوه ورضوانه، ويرجو مغفرته.

ومن أعظم العبادات التي تهذب النفس وتعودها على الصبر، فريضة الصوم، والصوم في اللغة هو الإمساك مطلقاً عن الأكل والشرب، واصطلاحاً هو الإمساك عن الأكل والشرب وسائر المفطرات، من طلوع الفجر إلى غروب الشمس[1].

والصوم واجب على كل مسلم عاقل، بالغ، مكلف، وهو ركن من أركان الإسلام، قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ [البقرة: 183].

وللصوم ركنان: الركن الأول النية، فلا يصح الصوم من غير نية، والركن الثاني الإمساك عن الأكل والشرب والجماع، لأن الله تعالى أحل ذلك في ليالي رمضان[2]، حيث قال الله تعالى: أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَائِكُمْ هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ عَلِمَ اللهُ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَخْتَانُونَ أَنْفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا

(1) الموسوعة الفقهية، 7/28.

(2) بدائع الصنائع، الكاساني، 236/2.

عَنْكُمْ فَالآنَ بَاشِرُوهُن وَابْتَغُوا مَا كَتَبَ اللهُ لَكُمْ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتى يَتَبَينَ لَكُمُ الْخَيْطُ الأَبْيَضُ مِـنَ الْخَـيْطِ الأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ثُم أَتِموا الصيَامَ إِلَى اللَّيْل [البقرة: 187].

ومع اقتراب شهر رمضان المبارك، كان علينا أن نتحدث عن هذا الشهر الذي فضله الله تعالى على سائر شهور السنة، فهو شهر الصيام، والقيام، وقراءة القرآن، وصلة الأرحام، وطاعة الرحمن، كما قال الله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلناسِ وَبينَاتٍ مِنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَان فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدةٌ مِنْ أَيامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ الْيُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدةَ وَلِتُكَبرُوا اللهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلكُمْ تَشْكُرُونَ [البقرة: 185]، وهو شهر الحسنات، ودفـع الـصدقات، وعتق الرقاب، واجتماع الأهل، والأصحاب، وهو شهر المغفرة، والتوبة، والمناجاة، ومحاسبة النفس.

وفي هذا الشهر فرصة عظيمة لكثرة العبادات والتقرب إلى الله تعالى، وغـسل القلـوب، ومـسح الذنوب، وعتق الرقاب من النار، وفيه ليلة أنزل فيها القرآن، ليلة القدر، هي خير من ألـف شـهر، قـال تعالى: إِنا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ * لَيْلَةُ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْـفِ شَـهْرٍ * تَنَـزلُ الْمَلائِكَةُ وَالروحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبهِمْ مِنْ كُل أَمْرٍ * سَلامٌ هِيَ حَتى مَطْلَعِ الْفَجْرِ [القدر: 1-5]، وفيـه يَمـنّ الله تعالى على عباده بأسر مردة الشياطين وحبسهم، فيصبح الإنسان محباً للعبادة ومقبلاً عليها دون أن يجد من يصده، ويمنعه، ويوسوس له، إلا من تكون نفسه الأمارة بالسوء، هي الشيطان الذي يوسـوس لـه بتـرك العبادة، والتكاسل عن القيام بفروض هذا الشهر الفضيل، حيث قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «قَـدْ جَاءَكُمْ رَمَضَانُ شَهْرٌ مُبَارَكٌ، افْتَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيَامَهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَنةِ، وَيُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِـيمِ، وَتُغَل فِيهِ الشيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِم» [مسند أحمد، باقي مسند المكثرين، قـد جاءكم رمضان شهر مبارك افترض الله عليكم صيامه].

وفي شهر رمضان المبارك يتضاعف الأجر والثواب، لذلك يجب على المسلم أن يغتنم هذا الـشهر الفضيل، وهذه الأيام المباركة، ويكثر من الصلاة، والقيام، والاعتكاف، وقراءة القـرآن، ويحـرص كـل الحرص على صلة الأرحام، فهو شهر الرحمة، والمغفرة، وعليه أن ينتهز هذا الـشهر العظـيم بنفحاتـه العطرة المباركة؛ لفك الخصومات والنزاعات بينه وبين إخوانه وأصدقائه، وبر والديه، وطلب رضـاهما، وأن يكثر من الصدقات، فما أحوج الفقراء والمساكين في هذا الشهر لمن يعطف عليهم، ويمد يـد العـون إليهم.

كثيرٌ من الناس الغافلين البعيدين عن دين الله، يضيعون الأجر العظيم والثـواب الجزيـل مـن رب العالمين؛ لتركهم فريضة الصيام في رمضان، فكان الترهيب والتشديد في التفريط في أداء فريضة الصوم، فلو صام الإنسان الدهر كله لم يقض يوماً أفطره في رمضان، حيث قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «مَنْ أَفْطَرَ يَوْمًا مِنْ رَمَضَانَ مِنْ غَيْرِ رُخْصَةٍ، وَلا مَرَضٍ، لَمْ يَقْضِ عَنْهُ صَوْمُ الدهْرِ كُلِهِ وَإِنْ صَامَهُ» [سنن الترمذي، كتاب الصوم عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الإفطار متعمداً]، وقال رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فيما يرويه عن ربه: «كُل عَمَل ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلا الصيَامَ؛ فَإِنهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصيَامُ جُنـةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فلا يَرْفُثْ، وَلا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ: إِنِي امْرُؤٌ صَائِمٌ، وَالذِي نَفْسُ

مُحَمدٍ بِيَدِهِ؛ لَخُلُوفُ فَمِ الصائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ، لِلصائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا؛ إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ» [صحيح البخاري، كتاب الصوم، باب هل يقول إني صائم إذا شتم].

ومن أعظم ما في هذا الشهر الفضيل أن كثيراً من الناس الذين هداهم الله تعالى يغتنمون حلول رمضان ليبدأوا بداية جديدة، يجددون فيها عهدهم مع الله عز وجل، ويعلنون توبتهم، فيفوزون بالثواب والأجر، وكما أخبر رسول الله، صلى الله عليه وسلم، عن أول ليلة في رمضان، حيث قال: «إِذَا كَانَتْ أَولُ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، صُفِدَتْ الشيَاطِينُ وَمَرَدَةُ الْجِن، وَغُلِقَتْ أَبوَابُ النار، فَلَمْ يُفْتَحْ مِنْهَا بَابٌ، وَفُتِحَتْ أَبوَابُ الْجَنةِ، فَلَمْ يُغْلَقْ مِنْهَا بَابٌ، وَنَادَى مُنَادٍ يَا بَاغِيَ الْخَيْرِ؛ أَقْبِلْ، وَيَا بَاغِيَ الشرِّ؛ أَقْصِرْ، وَللهِ عُتَقَاءُ مِنْ النار وَذَلِكَ فِي كُل لَيْلَةٍ» [سنن ابن ماجة، كتاب الصيام، باب إذا كان أول ليلة في رمضان صفدت الشياطين ومردة الجن].

ومن أعظم العبادات في رمضان، التي يحرص عليها كثير من الناس، أداء العمرة، فعن ابن عباس، رضي الله عنهما، قال: «لما رَجَعَ النبِي، صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، مِنْ حَجتِهِ قَالَ لأم سِنَانٍ الأَنْصَارِيةِ: مَا مَنَعَكِ مِنْ الْحَج؟ قَالَتْ: أَبُو فُلانٍ، تَعْنِي زَوْجَهَا، كَانَ لَهُ نَاضِحَان، حَج عَلَى أَحَدِهِمَا، وَالآخَرُ يَسْقِي أَرْضًا لَنَا، قَالَ: فَإِن عُمْرَةً فِي رَمَضَانَ تَقْضِي حَجةً أَوْ حَجةً مَعِي» [صحيح البخاري، كتاب جزاء الصيد، باب لا تسافر المرأة إلى مع ذي محرم]، وهذا دليل واضح على أن الجزاء يتضاعف في رمضان، فعمرة في رمضان تعدل حجة مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم.

كذلك صلاة التراويح، وهي القيام في ليالي رمضان بعد صلاة العشاء، وسميت بصلاة التراويح؛ لأن الناس في هذه الصلاة تصلي وتستريح أثناء الركعات، وهي من النوافل المستحبة في هذا الشهر الفضيل، وهي سنة مؤكدة عن رسول الله، صلى الله عليه وسلم، فقد سئلت عَائِشَةَ، رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، كَيْفَ كَانَتْ صَلاةُ رَسُول اللهِ، صَلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَمَ، فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ، وَلا فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُصَلي أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهن وَطُولِهن، ثُم يُصَلي أَرْبَعًا، فَلا تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهن وَطُولِهن، ثُم يُصَلي ثَلاثًا، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ؛ تَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «تَنَامُ عَيْنِي، وَلا يَنَامُ قَلْبِي» [صحيح البخاري، كتاب المناقب، باب كان النبي، صلى الله عليه وسلم، تنام عينه ولا ينام قلبه].

ومنها قراءة القرآن، فشهر رمضان هو شهر القرآن، فينبغي أن يكثر العبد المسلم من قراءته، وقد كان حال السلف العناية بكتاب الله ، فكان جبريل، عليه السلام، يدارس النبي، صلى الله عليه وسلم، القرآن في رمضان، وكان عثمان بن عفان - رضي الله عنه - يختم القرآن كل يوم مرة، وكان بعض السلف يختمه في ثلاث ليال، وبعضهم في سبع، وبعضهم في عشر، وكان الشافعي يختمه ستين ختمة في رمضان، وكان الزهري إذا دخل رمضان يفر من الحديث، ومجالسة أهل العلم، ويقبل على تلاوة القرآن من المصحف، وكان سفيان الثوري إذا دخل رمضان ترك جميع العبادة، وأقبل على قراءة القرآن.

قال ابن رجب: إنما ورد النهي عن قراءة القرآن في أقل من ثلاث؛ على المداومة على ذلك، فأما في الأوقات المفضلة؛ كشهر رمضان وخصوصاً الليالي التي يطلب فيها ليلة القدر، أو في الأماكن المفضلة كمكة لمن دخلها من غير أهلها، فيستحب الإكثار فيها من تلاوة القرآن؛ اغتناماً لفضيلة الزمان والمكان.

ومن هدي السلف قراءة القرآن بتدبر وفهم، والبكاء عند تلاوته أو سماعه، فهو كلام الله عز وجـل الذي يحرك القلوب، وتستقيم به الجوارح، فعن عبد اللهِ قال: قال رسول اللهِ، صلى الله عليه وسلم: «اقْـرَأْ عَلَيّ. قال: قلت: أَقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ. قال: إني أَشْتَهِي أَنْ أَسْمَعَهُ من غَيْرِي. قال: فَقَرَأْتُ النِسَاءَ، حتى إذا بَلَغْتُ فَكَيْفَ إذا جِئْنَا من كل أُمةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ على هَؤُلاءِ شَهِيدًا ، قال لي: كُف أو أَمْسِكْ؛ فَرَأَيْـتُ عَيْنَيْهِ تَذْرِفَانِ» [صحيح البخاري، كتاب فضائل القرآن، باب البكاء عند قراءة القرآن].

ومن فضائل شهر رمضان، تكفير الذنوب[1]، حيث قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم: «الصلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ مُكَفِرَاتٌ مَا بَيْنَهُن إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ» [صـحيح مـسلم، كتاب الطهارة، باب الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة كفارات لمل بينهن].

كذلك خص الله سبحانه وتعالى الصائم بنعمة عظيمة، وهي أن دعاء الصائم عند فطره مستجاب ولا يرد، لقوله صلى الله عليه وسلم: «إِن لِلصائِمِ عِنْدَ فِطْرِهِ لَدَعْوَةً مَا تُرَد» [سنن ابن ماجة، كتـاب الـصيام، بـاب إن للصائم عند فطره لدعوة ما تـرد]، كما أن للجنة باباً اسمه باب الريان لا يدخله إلا الصائمون، وهذا دليـل علـى عظم هذه العبادة وعظم أجرها.

والصوم عند الناس نوعان؛ الأول: صوم عن الأكل والشرب والشهوات والملذات والسب والـشتم، وابتغاء وجه الله تعالى في ذلك، فهذا له الأجر العظيم والثواب الجزيل من الله، وهو كفارة لذنوب الإنسان، وعتق لرقبته من النار، والثاني: هو صوم عن الأكل والشرب فقط، دون مراعاة حـق الله وطلـب عفـوه ورضاه، فيسرف في المأكل والمشرب والبذخ الزائد، مع أن من أهم مقاصد الصوم، تهذيب النفس وتأديبها، وتعويدها على الصبر، واحتساب الأجر، والشعور بإخواننا الفقراء، والتفكر في عظم خلق الله، والـشعور بالنعم العظيمة التي من الله تعالى بها على عباده.

فيا سعادة الصائمين والمصلين والقائمين والمعتكفين والمتصدقين في هذا الـشهر العظـيم، اللـذين يحرصون كل الحرص على نيل الرحمة والمغفرة من الله جل وعلا والعتق من النار، ويا حسرة على مـن ضيع حق الله، فتهاون في العبادة، وأضاع على نفسه الأجر والثواب، فأخذ نصيبه من الدنيا، ونسي نصيبه الأعظم في الآخرة.

فاحرص أيها المسلم؛ على استغلال هذا الشهر العظيم بالعبادات، والطاعات، والـصدقات، وقـراءة القرآن، واحرص على أن تكون ممن تعتق رقابهم في هذا الشهر الفضيل.

نسأل الله العلي القدير أن يبلغنا رمضان، وأن يحله على الأمة العربية والإسلامية بـاليمن والخيـر والبركات، وأن يتقبل منا الصيام والقيام والطاعات، وأن يكفر عنا ذنوبنا ويجعلنا من عتقاء شهره الكريم.

الإدارة العامة للبحوث والتخطيط

(1) فقه السنة، السيد سابق، 494/1.